قصة

كانت الأفكار تراودني كالعادة، تلاحقني طيلة الطريق، وأنا أمشي في البساتين وقرب الأنهر وبين الأشجار والعصافير، وكانت الشمس حادة، والطقس حار، والدنيا نار، والسماء زرقاء جافة من غيوم الصيف، وقد تساءلت مرارًا، وغلب السؤال على باقي الأفكار عدة مرات، وكلما أتنزه يقابلني:

-أين الأصدقاء، قتلني الروتين، قتلتني الحياة المكررة، أني أموت من الملل، يومٌ خلف يوم، وكل الأيام سواء، وأحسنها يومٌ فيه مفاجأة أو صدفة أو أعجوبة. لقد ضجرت من العمل، تعبت من التكرار، وما المغزى من عملٍ لا ينتهي أو جهدٍ مكرر بلا مكافأة. أين الناس.

وهززت رأسي بلا فائدة، كمن يتمنى وبصميمه يعلم أن الأمنية سبيلها الموت، لن تتحقق في الأحلام، وما أمنيتي، أملي فقط بصديق أو صديقين، أو زوجة أو حبيبة. وشعرت أنني يائسٌ بائسٌ، فأحلامي على بساطتها غير مُدركة، وهي أمنيات طفلٍ صغيرٍ في الفضاء أو رجلٍ مسنٍ في الصحة والعافية، وكان التفكير ما يقض مضجعي، وما يحرمني الرخاء والراحة، وهو تفكيرٌ يطاردني لا يتوقف عند نقطة أو لحظة، وكلما أحاول الابتعاد يقربني أكثر فأكثر.

وكنت وصلت بعد التفكير إلى حديقة ما، لم أبتغيها بعد، وفاجأتني البحيرة فيها، بمائها الصافي العذب، ولونها البلوري اللؤلؤي، ورائحتها الخالصة الساحرة، وكانت دائرية صغيرة، وتحيطها الأشجار والزهور والأعشاب، وتتوزع في جنباتها بيوت الضفادع وأوراق اللوتس الوردية، وتتحرك الرمال فيها كأوراق الأشجار في فصل الرياح. وفاجأني منظرها الجميل، ولفتتها الساحرة، وطلعتها العجيبة، وانطلقت عيوني من محلها تتأملها وتشبع رغبتها في طلتها، فاقتربت منها بحذر كمن يحلم ويخاف أن يفيق، وكنت أدوس الأرض برؤوس أصابعي حتى لا يطرأ طارئ أو لا يتغير شيء، ثم اختلست نظرة مخاتلة سريعة، دون أن أحدث ضجة، ونظرت فيما لو أنني محروم من الرؤية، وما إن أطبقت عينتي عليها حتى غمرني سحرها، وأخذتني طلتها، ونسيت نفسي فيها، وطارت الهموم والأفكار والخواطر، وشعرت حالي أغوص في أعماقها وفي أرجائها. لكن أمرًا ما شلني عن الحركة، فاعتلج قلبي، وانقبض صدري واعترتني الدهشة، واعتلاني الاعجاب، وسألت نفسي بعدما تساءلت مرارًا وقد أدهشني ما كُتب على صفحة البحيرة باللون الأبيض العريض، وقرأت ما كُتب بصوتٍ بين الهمس والصراخ من العجب:

-منير سيف الدين. مواليد 1991. دمشق، سوريا. أهلًا بك في لعبة "السقوط الحر"

صار قلبي يطرق على صدري كالشاكوش، ورقبتي تلبدت بالعرق، وحلقي جاف انقلب في لحظات إلى كهف من رمال، وراودتني مئات التساؤلات، واقتربت أكثر إلى البحيرة الغريبة الساحرة على رؤوس أقدامي. علني أحلم أو هو عقلي بدأ يهذي في سن مبكرة، لا يُعقل، ضربٌ من الجنون، ماذا يعني هذا الهراء. سطلني الاسم المكتوب على الماء كأنما بخار أبيض أو غيوم بيضاء. عركت عيوني، وصفعت نفسي كي أستيقظ من السهوة، ولكن الكلمات ما زالت مكتوبة، والبخار لم يختفي أو ينبلج أو يتطاير، ومازال كل شيءٍ مرسوم أمامي كالسحر.

ثم اقتربت أكثر فأكثر، حتى لمست قدماي حافة البحيرة، وكادت رؤوس أصابعي تبتل بالماء، وركعت بحذر فيما لو آخذ وقتي في الصلاة. تشربت عيوني في النظر فيها، وكررت القراءة أكثر من عشر مرات، وزاولني الصمت، ولاحقتني ملايين الأفكار، وكان الأدرينالين في عروقي منتشرٌ كالماء في مضخات سيارات الإطفاء. جلست إلى جانب البحيرة، ورميت نظري فيها، لا شيء إلا تلك الكلمات، لا أمر غريب فيها، بحيرة طبيعة، بلون طبيعي، جميل بعض الشيء، وطلة أكثر من ساحرة، لكنها بحيرة عادية، فما الخطب.

رددت القراءة كثيرًا، شعرت في حاجةٍ ماسةٍ لتناول سطرٍ واحدٍ كُتب بالغبار على بحيرة، جرفني إحساسٌ غريب، شعورٌ راودني بالقرب لها، لعبة "السقوط الحر"، تسلط تفكيري فيها، وبينما تطرحني أفكار وتشيلني أخرى، فقدت الوعي بعض الشيء، زاغ بصري، دارت الدنيا حولي كالدوامة، وفي لمح البصر، ملت إلى الأمام، وسقطت فيها...

فتحت عيني ببطء، استغرقت بعض الوقت حتى أتحقق ما حولي بالضبط، فقط كانت الرؤية في الأول متعذرة بعض الشيء وغير واضحة تمامًا، وكان حشدٌ غفيرٌ من الشباب والرجال يطلون برؤوسهم صوبي، ويتهامسون فيما بينهم، ويشيرون لي بسباباتهم ويتوشوشون.

-مين أنتو...وين أنا؟

لكن أحدًا لم يحرك ساكنًا، بقوا صامتين، أعلاهم صوتًا من يهمس أو يوشوش أو يشي. قلبت نظري فيهم علّ أحدهم يشرح لي ما الأمر، إنما تمسكوا بالهدوء الذي رافقهم، واحتفظوا بحديثهم لنفسهم. حتى قفز بينهم واحدٌ لم يكن مع المجموعة، جاء من بعيد، دخل بين صفوفهم، وتساءل مشيرًا بيده صوبي:

-الواد دا مين؟؟ أنتو بتبصوله كده ليه، هو الود دا كان معنا ولا ايه يا كدعان؟

فلفظ واحدٌ من المجموعة الأصلية التي تجمعت فوق رأسي كالدائرة، وأجاب القادم حديث العهد بهدوء ورصانة ورزانة:

-لا يا خيا، لقيناه هون مرمي على الأرض، يبدو لسا في ناس عم تجي، بجوز ما خلصوا.

فأومأت الفرقة بينما انتفض المتسائل ورفع رأسه عجبًا ودهشة، ووجه حديثه للآخر:

-أنت بتقلي خيا ليه، أنتَ حضرتك منين يعني، دي لهجة غريبة عليّ أوي!

-أنا أحمد. من فلسطين، وأنتَ، من وين؟

-أنا مجدي. من مصر.

ثم تابع مجدي مشيرًا لي مجددًا:

-يبقى الواد يلي على الأرض منين، شكلو غريب عليّ كمان، أنتو كلوكوا غريبين عليّ، المعذرة يا كدعان بس أنا مش فاهم اي يلي بيحصل.

فاعتلت الضجة، تناول الجو صخب ثقيل مزعج، صارت أصوات الوشاوش عالية ومزعجة. انتابني صداعٌ حاد، وضرب رأسي وجعٌ هيستيري، فمسكته وعصرت عليه بشدة ساحقة، علاوةً على طنين صاخب دوى في أذني بالكاد تحملته طبلاتها.

انطلق صوت ثالث، غير مألوف، بلهجة جديدة مختلفة عن السابقتين، بالكاد تبينت الكلمات فيها. قال الأخ:

-رد بالك يا خي، توا حضرش بينا، نستى حتى يفيق.

فقال رابع، كان واقفًا بين المجموعة المتسلقة فوق جسدي المبطوح على الأرض كالجثة الهامدة، موجهًا الكلام إلى الثالث، الذي تبين لي من تونس:

-وأنتَ...أنتَ يا فصيح، شو هل اللغة العربية، بتحكي أربع لغات بنفس الجملة ولا كيف.

فضحك الآخرون، وعبرت ابتسامة حنونة شفتاي، بينما مسك مجدي خواصره، وقال الرابع:

-عسلامه...أنا ضياء. ضياء من تونس.

خُلت نفسي في حلم بسيط تافه، لا معنى منه، مزيج من الأفكار العشوائية اجتمعت في حلمي، ليس شيئًا جديدًا، يتكرر هذا الحادث عند معظم الناس، وعندي أكثر من اللازم، سبب ذلك التفكير الزائد. لكن ما هذا الحلم، حلم يفوق التصورات، ثم هذا العالم!، ما هذه الأرض الفسيحة العجيبة، أرض عشبية خضراء نضرة، أرض هائلة في الضخامة، لا نهاية لها، كأنما تحولت الكرة الأرضية إلى ملعب كرة قدم في حلم.

جعلتني هذه الأفكار أرتاح قليلًا، خف ألم رأسي، تلاشى الصداع الحاد الذي ألمّ بي في فجأة. شعرت فيه بصدمة عجيبة، كأنني بين عالمين اثنين، أو كأنني سجين حلقة في ثقب أسود. ما علينا الآن، لحظات وأعود إلى العالم الحقيقي، سينتهي كل شيء في ثواني، فدعني أتمتع بحلمٍ غريبٍ غير مألوف، حلم مجنون خارج عن التصورات، من أحلامي الهجينة. قلبت نظري في الحضور، وتمعنت في وجوه كلٍّ منهم. كانت تقاسيمهم جديدة تمامًا، لم أرَ أي منهم في حياتي البتة، وعلى ذلك شعرت بألفة تجاههم، حنين ومودة وكأنما مربوطين سوية بحبل واحد. ألا ينتهي الحلم الآن، لقد طال عن العادة، فعادة حينما أتيقن أنني أحلم، أخرج من الحلم في نفس اللحظة، كأنما لا يريد الحلم مني أن أعلم أنه غير حقيقي، اي يختفي في اللحظة التي أتحقق فيها بأنني نائم، فأستيقظ وأنسى كل ما رأيت. لكن الآن!!! ماذا يحصل بحق الجحيم.

ثم خرج من المجموعة، انبثق شخصٌ جديد كان مختبئًا، ظهر واحدٌ ببشرةٍ داكنة سمراء، ووجهٍ طويل نحيل، وأنفٍ معكوفٍ أفطس، وأردف بلهجة جديدة:

-أنا تاري مش فاهم إشي، يا زم إحنا وين بالضبط؟

وتعقبته الأنظار، ارتفعت العيون إليه كأنما بطلٌ خرج إلى المسرح، ورقبوه باندهاش وعجب. بينما نظر هو إليهم يريد أن يفهم ما يحصل وما يجري، لكن أحدًا لا يدري ما الخطب، لا أحد هُنا يعلم بما يدور، وعنّ على بالي تفسير ابتدائي لما يجري، فنهضت إلى الأمام، وجلست على فخذيّ وتربعت وسألته:

-حضرتك من الأردن، أنت من الأردن صح، هيك باين على لهجتك.

ولكنني لم آبه بالسؤال قدر ما صفعتني اللهجة السورية التي أتكلم بها، فتحت عيني على وسعهما، ونظرت في الفراغ بين سيقان الرجال، راح بصري في الأفق وتفكيري في الفضاء، غاب الحضور عني نهائيًا. بالسوري!!، أنا أتكلم اللهجة السورية، أنطقها بطلاقةٍ بديعة، كيف لم أنتبه إلى ذلك، ماذا يجري هُنا بحق الجحيم، أهي نهاية العالم، أرجوك يا منير استيقظ، أصحُ يا منير، كفاك ترّهات، ما هذه الدوامة التي علقت بها الآن، ما هذا الحلم السخيف التافه.

بدأت يداي ترتجفان، وقلبي يعتلج، وصرت أهز بساقيّ بسرعة بحركة متكررة بلا مسعى.

فأجاب الشاب الأسمر ذو الأنف المفكوح الأعوج:

-صحيح. من الأردن، أنا خالد من الأردن وأنت يا حبيبي؟

-منير، من سوريا، تشرفنا بخالد.

وصافحت خالد، وساعدني على النهوض، ثم قلبت نظري في الحشد ودققت فيهم أكثر. كانوا شبابًا لا يزيدون عن العشرة، منهم أحمد من فلسطين، ومجدي من مصر، وضياء من تونس، وخالد من الأردن، ناهيك عن محمد من العراق وآخرون من الجزائر والصومال وليبيا والسعودية.

كانت اللغة العربية هي الشيء المشترك بيننا، لكن أحدً منا لم يتكلم الفصحى، ولكل واحد لهجة فريدة خاصة، بعضها مفهوم أكثر من الآخر، فمثلًا السعودية والسورية والأردنية والفلسطينية قريبين على بعضهم، والتونسية والجزائرية والمغربية أيضًا، مما جعلنا فئات متفرقة. شكلنا من المجموعة مجموعات، وكان هذا آخر ما نريده هُنا، أن نفترق عن بعضنا بعدما جُمعنا لسببٍ مجهول تمامًا. غاية لم نكن ندري مسعاها حتى...

-سلامٌ عليكم...

انطلق صوتٌ من شاهق، وكان الصوت من مذياع، من مكبرات صوت كبيرة جدًا كانت مختبئة في مكان ما. وتابع:

-سلامٌ على كل واحدٍ منكم، سلامٌ على أصحاب الشرف، على المتأهلين، على سكان البلاد العربية المختلفة. كم نحن مسرورون بحضوركم، بوجودكم هنا على هذه الأرض الجميلة...

فقاطع مجدي الرجل على المكبر وقال بنبرةٍ بين العتاب والمُزاح:

-بحضورنا اي...شايفينا مسرورين يعني...احنا مو فاهمين حاجه بتصير هون، احنا يا كدعان مشلولين خالص...ومنفكر كتير وملخبطين أوي...

ثم قبض خالد بيده على معصم مجدي، ونظر إليه بجدية ووضع سبابته على فمه، وهمس:

-هسسس يا مجدي.

فأطبق مجدي فمه ونظر مجددًا إلى الأعلى. أطبق الصمت قليلًا كما لو أن كلمات مجدي وصلت الشخص وسمعها كلمة كلمة، ثم ارتد الصوت الضخم العالي من المذياع مجيبًا:

-نعم...نحن نعلم أنكم تعجبون أمركم، مُدهشون من كل شيء، تدور في أفكاركم مئات الأسئلة، وأن أغلبكم ينتظر بفارغ الصبر حتى ينتهي هذا الكابوس القبيح. إذًا دعني أقول لكم، وأصارحكم، أنكم الآن تمرون بأقبح كابوس في الحقيقة. أنتم الآن على وشك النهاية، على وشك الموت، أنتم محجوزون من الحياة، فأنتم من دمر نفسه بنفسه، أنتم من قضى على حياته وحياة أمته. أنتم في بقعةٍ عالية عن الأرض، بعيدة عن الحياة، وقريبة إلى الموت، أنتم على ضفاف الانتحار، على حافة الهلاك، بين بساط الأرض وغطاء السماء، فلا أنتم هالكون ميتون، ولا أنتم ناجون أحياء، لا يراكم الأحياء، ولا يسمعكم الأموات، ولو أردتم الموت، فلا عَجَلَ إليه...فهو قريبٌ، وطريقه سهلٌ خفيف، ومساره سالك مستقيم، أما لو أردتم الحياة، فلا تنفكوا عن العمل، وأرفقوا العمل بالنية، وأبصروا في أعمالكم الحسنة والسيئة، واقرنوا العمل والنية بالجهد، واجتهدوا حتى إذا دنا الليل منكم، ما نمتم حتى وصلتم فيه إلى الهزيع الأخير، فذاك خيرٌ لكم وأفضل إليكم، وأحسن إلى مثواكم.

هدأ المذياع برهة، وأمسك الرجل عن الكلام، فانتشر في المكان صمت مريب موحش، وأطبقت عليه نسمة باردة ذات نغمة غريبة، ونظر بعضنا في بعضنا الآخر، وكانت العيون مُرتابة والقلوب خائفة، والأذرع ترتجف، وكنا على قوتنا وعزيمتنا خائفون من المجهول، فنحن لا ندري حتى الآن ما هو المطلوب منا. ماذا يعني بين الحياة والموت، هل يا تُرى وصلنا إلى النهاية، هل النهاية قريبة جدًا منا، ثم أين باقي الدول...

فكأنما سمع الرجل صوت أفكاري، فنادى على البقية الذين أتوا من بعيد من الضباب الذي غمر الساحة مع حلول المساء، وظهرت ظلالهم من خلف الضباب، وكانوا مثلنا، منحطين منهكين مرعوبين، إنما تبينت فيهم شيئًا آخر لم يكن فينا، شيئًا إضافيًا، حالًا زائدةً عن حالنا. كانوا وكأنما دروا بما يحصل هنا، اي أنهم سمعوا كل شيء، كأنما جاؤوا قبلنا وكهنوا من الرجل كل شيء، قواعد اللعبة الوسخة. صاح الرجل:

-الرجاء من البقية أن يتقدموا ويظهروا أنفسهم، سأعيد شرح قواعد اللعبة على الجميع كما فسرتها بالكامل سابقًا لزملائكم وأخوتكم من الدول العربية الأخرى...لبنان وقطر والبحرين والإمارات وموريتانيا وسلطنة عمان.

اللعبة تُدعى لعبة "السقوط الحر". أنتم الآن اثنان وعشرون رجلًا وشابًا من اثنين وعشرين دولة عربية، اي عددكم قد اكتمل الآن. سيبدأ التوقيت بعد اختفاء صوتي، حينها يبتدر العد التنازلي، لديكم شهر كامل، ثلاثون يوم، وبعد ثلاثين يوم سيتحدد مصيركم، إما الموت...أو النجاة. في نهاية كل زاوية من الزوايا يوجد باب، خلف هذه الأبواب توجد غرفٌ كبيرة واسعة، شاسعة جدًا. باحاتٌ ضخمة هائلة، وفيها كل شيء، كل ما تحتاجون وجميع ما تشتهون، اي أن هناك أبوابٌ بداخلها المكاتب والعلوم واستوديوهات الرياضة، وقاعات التعلم، والمدارس. وهناك أخرى تدعى أبواب الشهوات، وهي كثيرة لا حدود لها، وهي مملوءة بكل أنواع الشهوات التي يمكن لكم أن تتصوروها، وفيها مُتاعٌ لكل

أحد، ومسلاة لمن يضجر أو يمل أو يسخط، وفيها نساءٌ عذارى، وهن تحت خدمتكم وفي أمر طاعتكم، وهن مجهزات لكي يقمن بكل ما تريدون، ناهيكم عن أبواب الطعام لمحبي الأكل والمشروب، ولا حدود للأطعمة والمشاريب، وفيها الفواكه الطازجة اللذيذة، وهي لا تنتهي ولا تفسد فقد حُفظت بأماكن خاصة مُهيئة جدًا لها، وعلى كل بابٍ ترون خدمًا ببدلات رسمية مخصصون لإرشادكم حيثما أردتم. فكل شيء هُنا متاح، أكثر مما تتخيلون وتتصورون...

نظرت إلى بعيد، خلف الضباب في أحد الأبواب القريبة، فتحققت رجلًا كان يقف أمامه، وكان يرتدي بدلة سوداء بعقدة رقبة حمراء، فعلًا كما يقول تمامًا، وقد صعب عليّ قراءة ما حفر على الباب الأسود الكبير -الذي بدا لي أشبه ببوابة- بخط أحمر عريض..ال...الشهوات.

وتابع الصوت:

-إنما عليكم أن تتيقنوا، واحذروا جيدًا، فلكل فعلٍ حساب، ولكل حركة تقومون بها نتيجة، ولا شيء بالمجان، ولدى كل منكم رصيد، ورصيدكم الأول 1000 ليرة عربية. وهي المملكة الابتدائية، والتي ستنطلقون منها، ولكل أحد منكم مهمات لينجزها، وهذه المهمات مكتوبة في أوراق محفوظة في جيوبكم، فلو تتفقدونها...

فتفقد كل منا جيوبه، وأدخل يديه في محافظها، منا من كان ملهوفًا ذو فضول هيستيري، ومنا الآخر من بدأ بجانب، وعندما لم يجد شيئًا، تحقق الجانب الآخر، وأخرجنا منها أوراقًا من البردي، بلون باهت إنما جميل وتقليدي، وأخذنا نقرأ فيها بينما ترتجف أيادينا، ونعيد القراءة مرة واثنتين وثلاثة، حتى نفهم المكتوب جيدًا، ونتمعنه كأنه الشيء الأخير الذي نقرأه في حياتنا.

-إنجاز المهمات يعني نقاط، اي عندما تنهون واجب من واجبتكم، ترتفع القيمة المقيدة على صدوركم، والتي بدأتموهما كما قلت سابقًا بألف ليرة عربية. كل أحد منوط بشيء مُختلف عن الآخر، ولكن درجة الصعوبات بالمجموع متكافئة، حيث أن المهمات متخالفة، إنما في الصعوبة في نهاية المطاف واحدة. لكل شهوة من الشهوات حسب درجة الشهوة ومستواها، قيمة معينة، اي لها ثمن معين، تدفعونه عندما تمارسون الشهوة، والطعام والمشروب بثمن، أما الأعمال الشاقة كالرياضة أو السباحة أو القراءة أو الكتابة، فلها راتب تتقلدونه في نهاية كل يوم، بعد أداء العمل. حرّي بكم إذًا أن تعملوا كثيرًا، وتنفقوا قليلًا. من تنتهي أمواله، أو تعادل القيمة المحفورة على صدره...الصفر، يموت. ومن يزيد القيمة إلى 1001 بعد مرور شهر كامل، يعود إلى الحياة السابقة قبل السقوط في اللعبة. هذه هي قوانين اللعبة، اي محاولة فاشلة لخرق القوانين، أو الخروج عنها أو الابتعاد عن الآخرين، أو حتى الوقوف جامدًا وعمل لا شيء، ستنتهي بالموت فورًا. ستبدأ لعبة "السقوط الحر الآن" اي العد التنازلي لشهر كامل سيبدأ مذ هذه اللحظة...بالتوفيق...

وانقطع الصوت من المذياع، وأحدث خلفه وشة دامت للحظات ثم اختفت. انطلق صوتٌ من الأصوات، تردد صداه في الأجواء وكانت اللهجة سعودية:

-إشي سخيف. نحن منضل قاعدين كدا ومنقرأ كتاب أو منلعب رياضة، وبس يخلص الوقت، منرجع على الدنيا مرة أخرى.

فأجابه خالد في سرعة بديهية دون تردد:

-يزم اسمع شو يقول، القعدة مو بصالحنا، احنا نخسر حياتنا بهادي الطريقة، انتبه يزم اللعبة خطرة كثير، احنا علينا نركز في القواعد.

فأومأ السعودي برأسه ووضع يده حول ذقنه، وسرح في التفكير.

قال مجدي:

-نحن بداهية، مصيبة يا كدعان، يومنا أسود، حياتنا بقت بالأيام، يعني نحن نموت بعد شهر، خلاص، أنا حقضيه بالهزار والتسلية، هو داه الحل الوحيد.

وأراد أن يرحل في وجهة ما لم تعد لي واضحة تمامًا من العتمة ومن الضباب المخيم على المكان، فصرخت بصوت عالي بنبرة عتاب وتحذير:

-لا يا مجدي، هيك ما منستفيد شيء، هنن بدن يانا أنو نخسر حالنا، بهل الطريقة نحن عم نعمل الشيء يلي بدهن ياه، اصحك يا مجدي، هاد فخ، هي مصيدة، لازم نكون حذرين أكثر، خلينا نقعد سوا ونعمل خطة ونفكر بطريقة تخصلنا من الجورة يلي وقعنا فيها...

واستطعت أن أغيّر طريق بعض الرجال إليّ، اقتربوا مني من خلف الضباب. اجتمعنا في البقعة التي وقفت عندها، وجلسنا تحت شجرة كبيرة خضراء، لها جذور عريضة ناتئة من الأرض. كنا عشرة، أنا وتسعة ممن اقتنعوا بالحديث، أما الباقي فغادر، اختفى خلف الظلام والضباب، لم يعد لهم أثر أبدًا، حاولنا النداء والصراخ، ولكن بلا فائدة، كأنما يبتلع الليل صراخنا. لعلهم تحلقوا إلى بعضهم في زاوية أخرى ليعدوا خطة جيدة، أنا آمل ذلك، لا أريد لأحد أن يموت، لا أريد أن يتقلص عددنا، بالكاد نحن اثنان وعشرون واحد، اي لسنا كُثر، وهذا سيف ذو حدين.

قال إيلي:

-خلينا نسجل أواعد اللعبة هي، أحسن ما ننساها، سيلفوبليه.

فقلت:

-كلام منطقي، إيلي عم يحكي صح، أهم شيء بأي عمل أنو نعرف طبيعته وكيف بيشتغل. إذا سجلنا القواعد على ورقة ممكن نلاقي حل بأسرع وقت ممكن، مين بيقدر يتولى هي المهمة، يعني مين شاطر باللغة العربية؟

فرفع أحمد يديه، وطلب أن يتخذ المسؤولية على عاتقه، ولا أظن أنه أفضل من العربي الفلسطيني في اللغة العربية بين الجميع، وأحمد بين الكل بدا لي فطن وذكي وذو حكمة ورأي وشورى.

تقدم محمد العراقي:

-آني بلشت أخاف يا منير، هادا يلي عل المذياع بيحشي كلام صدش، ولا بيمزح؟

ابتسمت بين السرور كوني حول مجموعة مختلفة متجانسة من الناس، وبين أننا الآن في كابوس حقيقي لا نعلم منه شيء بعد الآن، ونظرت إلى الأسفل وأنا أرى الأرض الخضراء سوداء مظلمة تحت ضوء القمر، وتحول لون العشب إلى لون رمادي أسود، وصارت الرؤية في جماله متعذرة، ورافقنا طنين الحشرات ونعيق الغربان، مما أعطى الجو نوعًا من الرهبة والخوف، بالفعل كنت أنا خائف أيضًا، متوتر ومتلبك، خاصةً أنني لا أعلم كيف ننجو بأنفسنا، لكنني كنت متمالكًا نفسي بعض الشيء، واحد وعشرون شخص على أكتافي، تساءلت: أين الباقي، لقد مر وقت طويل على رحيلهم، هل هم على ما يُرام، هل أصابهم مكروهٌ ما، كيف لنا أن نعلم بشيء، بوسعنا فقط أن نرجو ونتضرع. هدر إلينا صوت من الضباب، أشبه بمناجاة. عبر الصوت صدورنا، فاعتلجت قلوبنا.

-الحقونا...كله طلع فخ...خلف الأبواب...

ثم سقط على الأرض، وانتشرت تحته بقعة كبيرة من الدماء. أُصبنا بشلل، أحدًا منا لم يحرك ساكنًا، كنت أستطيع أن أسمع طرقات قلبي في محجري، كان يدق كالصاروخ. بدأ محمد بالبكاء، تبينت الدموع تشر كالمخاط على وجنتيه الطريتين. كنا في منتصف الليل، بالكاد نرى بعضنا البعض، صار الضباب أشد من قبل، انتشر بيننا، حتى بالكاد يميز واحدنا الآخر. منير افعل شيئًا، تحرك، استطعت أن أشم رائحة نتنة كريهة، يبدو أن أحدنا لم يتحمل الخوف. همس أحمد بصوت خفيض كأنما مُحاطون بوحش يترقبنا في الضباب:

-لساكن هون...؟

كانت شهقات محمد في بكائه دليلًا على وجوده، أين الآخرون. أجاب إيلي:

-يا أمي وينك. يا أمي بليز خلصنا بقا من هل الكابوس.

يداي ترتجفان، وعقلي مشتت، أحاول فقط التركيز على ما يحصل، أحاول أن أستشعر وجود كائن غريب مفترس بيننا. ماذا إذا حركت ساكنًا، ربما ينتظر اللحظة المناسبة للانقضاض، لا أريد الموت، أنا خائف جدًا، مرعوب حتى أنني فقدت السيطرة على ساقي، أشعر بالخدر بهما. عمى الضباب على الرؤية، أنا جالس في غيمة كاملة، لا شيء آخر، جالس بمفردي الآن، وكل ما حولي لون واحد، لا يوجد أثر لأحد. حركت يدي ببطء شديد في الفراغ علني أرى شيئًا أو أزيح قدرًا من الضباب، لا فائدة. صرخ خالد:

-آخخخخخ. ساعدوني يا شباب!!

قفزت في مكاني، وكأنما أصابني تيار كهربائي من الأرض أو سُكبت بماء مثلج. عليك النهوض يا منير. منير استرجل، افعل شيء، تحرك يا منير، صديقك على وشك الموت وأنت جالس كالحشرة على الأرض، هيا يا أحمق، هيا يا سافل.

أخيرًا وقفت، تغلبت على خوفي لثواني، راودتني الشكوك مجددًا، لكنني تغلبت عليها وتحركت باتجاه الصوت، حتى دعست على بقعة أخرى من الدماء. صوبت نظري إلى الأسفل، كانت قدمي تدوس بركة ثخينة ملوثة. تثبتت عينتي في المنظر المروع المخيف، وعادت نوبة القلق والضربات الهيستيرية وشحنة الدوبامين. شعرت أن دمي يغلي في دماغي وكأنه سينفجر من التوتر. تناهى لي شخير ذئب، فحركت رأسي بحركة سريعة إلى منبع الصوت، ونظرت في الأعلى، وتعلقت عيوني ب...حيوان كبير مفترس، بأنياب عملاقة، يشر اللعاب منها، فتحرق الأرض من سخانته. تجمدت في مكاني، فاتحًا جفوني على مصراعيها، جاء حتفي، تلعثمت بالشهادة...وبينما ركض الحيوان سريعًا اتجاهي، إذ صار بيني وبينه متر...رُفعت النظارة الإلكترونية عن عيوني، فقفزت بجنون إلى الخلف، وحططت على الأريكة الحمراء في المنزل، ونبضات قلبي تطبل في آذاني.

-منير!! متى ستتوقف عن الألعاب الإلكترونية يا بُني، ألا ترى كيف كنت ستؤذي نفسك، كنت ستقع على الأرض يا حبيبي، ومن يدري، تكسر ساقك أو يدك. ما هذه التكنولوجيا العجيبة. أين كنت يا حبيبي. رأيتك تلوح بيديك وتتحرك وتجلس، كالمجانين...

وضحكت...ثم تابعت:

-وكنت تتكلم مع آخرين كأنما موجودين هنا، كنت جالسًا معهم وتتحدثون بلهجات عديدة، اعتقدت جننت في بادئ الأمر، حتى رأيت تلك النظارة...السحرية، تلك التي...لا أعلم ماذا ترون بها...

وبينما أنا أستجمع أنفاسي رددت:

-نظارة الواقع الافتراضي.

-نعم تلك، هذه التي ابتعتها الأسبوع الماضي. ماذا تفعل بها. إلى أين تُغادر، ماذا يحصل بك عندما ترتديها، وكأنما تدخل إلى عالم آخر...عالم شبيه بالجن أو ذلك. هيا يا أمي، لقد حان وقت العشاء، لقد أحضرت لك السجق وسلطة الليمون التي تحبها. أباك في الأعلى ينتظرك ليراك.

كنت جالسًا على أريكة حمراء بوسادتين بيضاوتين مربعتين كبيرتين، حمدًا لله كان السقوط آمنًا، بدأت أسترجع أنفاسي أخيرًا. هدأ روعي واستقرت حالتي، كان الذئب سيلتهمني، ما أصعب هذه المرحلة، كررتها حتى الآن أكثر من عشر مرات في هذا الأسبوع. دائمًا أصل عند نفس المقطع، اللقطة التي يموت فيها خالد...ثم تنتهي إما بموتي والخسارة في اللعبة، أو بنداء فرد من أفراد العائلة...نظرت إلى الأمام على الأرض...كان غلاف اللعبة مرمي إلى جانب الجهاز الإلكتروني الحديث...لعبة السقوط الحر.

...

تمت بعون الله

اكتب لي رأيك في القصة في التعليقات (المراجعات الخاصة بالمكتبة) أو اكتب لي شخصيًا :) سوف أكون مسرورًا جدًا

أجب على أية سؤال من الأسئلة أو على جميعها في التعليقات

ما هي العبرة التي استخلصتها من القصة؟

كيف يمكن تطبيقها في المستقبل؟

هل لامستك شخصية من شخصيات القصة؟

الأهم من كل ما سبق. هل أعجبتك القصة واستمتعت بها؟

حسابي على الانستغرام 🟣

حسابي على الفيسبوك 🔵